الرياض

الأحد 18من ذي الحجة 1427هـ - 7يناير 2007م - العدد 14076

إنصاف الرجال

غازي العريضي

خلال الحرب الإسرائيلية على لبنان في تموز 2006 صدرت تصريحات ومواقف في لبنان من قوى سياسية أبرزها حزب الله تنتقد بل تهاجم المملكة العربية السعودية وخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز. ووصل البعض إلى حد تجاوز فيه كل المعايير القانونية والأخلاقية في الخطاب السياسي والإعلامي.

وكانت المملكة يومها قد أعلنت وقوفها إلى جانب لبنان وشعبه انطلاقاً من عدم تفرد أي فريق بالقرار ونبهت إلى ضرورة عدم الدخول في مغامرات أو حسابات خاطئة لن تكون نتائجها إيجابية بالتأكيد. ورغم كل ما تعرضت له، ترجمت المملكة قناعاتها الثابتة حيال لبنان وشعبه بمبادرات لم تتوقف. مساعدة مالية بقيمة خمسين مليون دولار. أتبعت بمساعدة أخرى قيمتها خمسمائة مليون دولار ثم بوديعة مالية في المصرف المركزي قيمتها مليار دولار، ثم اتخذ خادم الحرمين الشريفين لاحقاً قراراً بتسديد رسوم تسجيل كل طلاب لبنان في المدارس الرسمية وقيمتها عشرون مليون دولار. إضافة إلى المساعدات الانسانية والغذائية والطبية من خلال المستشفى الميداني الذي استمر لأشهر يعمل في لبنان ويقدم خدماته لكل المواطنين.

وانطلاقاً من هذا الموقف النبيل، قلت يومها بعد جلسة لمجلس الوزراء : "حرام علينا في لبنان أن نؤذي أنفسنا هكذا. نحن في محنة. يجب أن نبحث عن دعم في أي مكان في العالم. وإذا توفر لنا من أية جهة غير معادية يجب أن نبادر إلى تلقفه وشكرها. من واجبنا أن نوسع دوائر صداقاتنا. فهل يعقل ان نخسر شقيقاً أكبر، وأن نهاجم من كان دائماً إلى جانبنا"؟؟

الانفعالات والحسابات الخاطئة كانت أكبر وأخطر من أن يتوقف أصحابها عند لغة العقل !! ولذلك استمر الهجوم على المملكة وقائدها وعلى سفيرها في بيروت. وكان لحزب الله دور أساس في ذلك عبر محطته الاعلامية ومن خلال ضيوفها "الحلفاء المميزين" للحزب في هذه المرحلة ومعظمهم لا يمثل شيئاً يذكر في الحياة السياسية اللبنانية حتى إن الحزب نفسه لا يرى فيهم ثقلاً إلا ثقلاً عليه في بعض الأحيان، لكنه يستخدمهم كواجهات أو أدوات!!

هذا المشهد كان يؤلمني سياسياً وإعلامياً، ليس لأن المملكة في موقع المعتدى عليها، بل لأن الاعتداء هو على الحق، والأمانة، والوفاء والنبل والمصلحة الوطنية في الوقت ذاته. ولأن المقاومة ليست بحاجة في الوقت ذاته إلى مثل هذه السياسة التي تسيئ اليها سواء من حيث المضمون أو من حيث الذين ينقلونه. وقد ثبت لهم ذلك لاحقاً ولكن بعد أن كانت الخسارة قد وقعت.

عرفت السفير السعودي الدكتور عبد العزيز خوجة صاحب نفس طويل ورؤية بعيدة وإرادة صلبة. تحمّل الكثير لينجز الكثير لا لينجّر في بعض الأحيان إلى ما هو خطير كما كان يريد البعض. ولذلك بقي مصراً على انفتاحه وهدوئه وعلاقاته الصادقة مع الجميع لحماية لبنان واللبنانيين ولتأكيد موقف المملكة الثابت في هذا الاتجاه. فهو في النهاية سفير خادم الحرمين الشريفين وحامل رسالته وأمانته إلى لبنان واللبنانيين كل اللبنانيين.

وعرفت أيضاً قادة المملكة في أصعب الظروف حريصين على الجميع والوحدة والأمن والاستقرار والاستقلال وعدم التدخل في الشأن الداخلي في لبنان. وانطلاقاً من ذلك لم أفاجأ بزيارة وفد حزب الله إلى المملكة ولقائه بالأمير مقرن بن عبد العزيز ومناقشة الكثير من القضايا والأمور، ثم لقائه بخادم الحرمين الشريفين بحضور وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل، والأمير مقرن، وسفير المملكة في بيروت. صحيح أن اللقاء حدث سياسي مهم. وصحيح أن كثيرين ارتابوا منه وآخرين قلقوا، وآخرين انتظروا لمعرفة أي شيء عن نتائجه، لكنني في الواقع لم أكن من بين هؤلاء أو اولئك لعدة اعتبارات. ابرزها : أنك عندما تحكم بالعدل وتكون مجرداً من الغايات الشخصية والحسابات الفئوية فلا تخشى نفسك في أي لحظة. ويجب ألا يخشاك الآخرون. وإذا خشي بعضهم شيئاً سيكتشفون لاحقاً أنك كنت صادقاً. كذلك فإن المملكة في اللحظات الصعبة التي تعرض فيها لبنان لمحن وشدائد، كانت إلى جانبه، وعندما حاول بعضهم استهداف شرعيته وحكومته وخلق فتنة سياسية وطائفية ومذهبية فيه كان الموقف صارخاً مدوياً ومعلناً بوضوح رفض هذه الأساليب والسياسات.

لهذه الأسباب وغيرها لا أقلق من أي لقاء في المملكة. بل، مطلوب أي لقاء يمكن أن يساعد على حلحلة الأمور في لبنان!!

من هذا المنطلق قرأت الزيارة الأخيرة. والتي أهم ما كان فيها أن وفد حزب الله وكما أعلن بيان عن الحزب نفسه في بيروت تأكد من كل ما ذكرت، أي من أن خادم الحرمين الشريفين يريد حلاً في لبنان، وهو صادق في ذلك، ولا يميز بين فريق وآخر بل يريد مصلحة كل اللبنانيين، وأن ما يقوم به السفير السعودي في الوقت ذاته في بيروت إنما يعبر عن وجهة نظر المملكة وسياساتها بأمانة وليس في ذلك اجتهاد ولا يحمل الأمر أي افتراء في الوقت ذاته كما كان يحصل.

والأمل اليوم في أن يحتكم الجميع إلى العقل وأن يستفيد من "الملك الفرصة" كما كتبت سابقاً على صدر هذه الصفحة بالذات، ومن مملكة الخير ودورها ومحبتها للبنان لنجد مخرجاً يكون لمصلحة الجميع. فالملك عبدالله كان شديد الحرص على التأكيد لكل من يلتقيهم : "اجتمعوا مع بعضكم واتفقوا. ليس لديكم إلا لبنان. حافظوا عليه!! "

الذين هاجموا المملكة وقائدها في لبنان، توضحت لهم كل الأمور، كما قالوا وتأكدوا من النوايا الطيبة للشقيقة الكبرى. وعسى أن يكون ذلك فاتحة خير وطريق نعبر منه إلى مزيد من الوحدة والأمن والاستقرار.

ولا أدري إذا كان الذين تحدثوا عن أنصاف رجال في مخاطبتهم لقادة عرب أخبّر وأعرق وأعتق منهم في السياسة والعلاقات بين الناس والدول. لا أدري إذا كانوا يعيدون النظر في حساباتهم ويراجعون القديم في هذه العلاقات ويدركون أن الأمور لا تعالج بالانفعالات والعناد بل بالهدوء والحكمة. في كل الحالات هذا شأنهم وهم يقدّرون مصالحهم. لكنني أكرر "من إنصاف الرجال للرجال أن نقول شكراً للمملكة على ما تقوم به، على مالها النظيف لمساعدة اللبنانيين كل اللبنانيين، وعلى موقف قائدها ورجلها الكبير الشريف والنظيف."